مصادر وموارد ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير

د. محمد الحافظ أبكر محمد•

ملخـــــص

تناول البحث موضوع مصادر وموارد ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير ويأخذ هذا البحث أهميته من تعلقه بعلم التفسير وهو من أشرف العلوم الشرعية بل أهمها وأعظمها فضلاً، وكانت من أهداف البحث منها التعريف بابن عاشور ووصف كتاب التحرير والتنوير وبيان قيمته العلمية والكشف عن أنواع مصادر وموارد ابن عاشور في كتاب (التحرير والتنوير)، وقام البحث على المنهج التاريخي الوصفي الذي يستند على الوصف والتحليل ومن نتائج البحث اعتمد ابن عاشور في تأليف تفسيره (التحرير والتنوير) على الكثير من المصادر والموارد، وقد تنوعت وشملت كافة ضروب العلم والمعرفة كالتفسير، وعلوم القرآن والحديث النبوي الشريف، والفقه والأصول واللغة العربية بشتى ضروبها وكان تعدد المصادر وتنوعها وقبول ما جاء فيها أو رفضه بعيدا عن روح التقليد الركيزة الأولى التى اعتمد عليها منهج ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير وكان من منهج ابن عاشور في الغالب التصريح باسم المصدر أو المورد الذي استقى منه المعلومة مع اسم المؤلف خاصة عند اعتماده على كتبه المؤلفة كما كان من منهج ابن عاشور أيضاً التصريح باسم المصدر أو المورد الذي استقى منه المعلومة دون ذكر اسم مؤلفه أو التصريح باسم المؤلف دون ذكر اسم الكتاب، ومن أهم التوصيات ضرورة العناية بدراسة جهود ابن عاشور في إبراز علوم القرآن من خلال تفسيره التحرير والتنوير وضرورة قيام أحد الباحثين بدراسة مقارنة بين مصادر وموارد ابن عاشور في تفسير وبين مصادر وموارد أحد المفسرين الآخرين.

• الأستاذ المساعد للتفسير وعلوم القرآن بجامعة إفريقيا العالمية – السودان.

Abstract

The research dealt with the topic of Ibn Ashour's sources and resources in his interpretation of Liberation and Enlightenment. One of the objectives of the research, including the definition of Ibn Ashour, the description of the book of Liberation and Enlightenment, the statement of its scientific value, and the disclosure of the types of sources and resources of Ibn Ashour in the book of Liberation and Enlightenment. On many sources and resources, they varied and included all forms of science and knowledge such as interpretation, the sciences of the Qur'an, the noble hadith, jurisprudence, principles and the Arabic language in all its forms. And it was mostly Ibn Ashour's approach to declare the name of the source or resource from which the information was obtained with the name of the author, especially when relying on his authored books. Without mentioning the name of the book, and one of the most important recommendations is the need to pay attention to studying the efforts of Ibn Ashour in highlighting the sciences of the Qur'an through its interpretation of liberation and enlightenment and the need to establish A researcher conducted a comparative study between the sources and resources of Ibn Ashour in his interpretation and the sources and resources of one of the other commentators.

مقدمـــــــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد: فيعد محمد الطاهر بن عاشور من كبار مفسري القرآن الكريم في العصر الحديث، ولقد احتوى تفسيره «التحرير والتنوير» على خلاصة آرائه الاجتهادية والتجديدية؛ إذ استمر في هذا التفسير ما يقرب من ٥٠ عاماً، وأشار في بدايته إلى أن منهجه هو أن يقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين، تارة لها وأخرى عليها؛ «فالاقتصار على الحديث المعاد في التفسير هو تعطيل لفيض القرآن الكريم الذي ما له من نفاد»، ووصف تفسيره بأنه «احتوى أحسن ما في التفاسير، وأن فيه أحسن مما في التفاسير»، وتفسير التحرير والتنوير في حقيقته تفسير بلاغي، اهتم فيه بدقائق البلاغة في كل آية من آياته، وأورد فيه بعض الحقائق العلمية ولكن باعتدال ودون توسع أو إغراق في تفريعاتها ومسائلها .

والبيئة التى نشأ فيها الطاهر بن عاشور كانت تتمتع بإمكانات ثقافية عالية خصوصا فيما يتعلق بأصول الدين وفروعه، والفقه ومذاهبه، واللغة والأدب والبلاغة والتاريخ والفلسفة وغير ذلك من العلوم، مما انعكس على منهج ابن عاشور في تفسيره المسمى" التحرير والتنوير" والذي اختصره من اسمه الأصلي " تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، وتفسير الكتاب المجيد، والمتأمل فيه يجد لمؤلفه عقلاً راجحاً، ورأياً صائباً، وسعة فكر، وقوة بيان، وحجةً قويةً، وبرهاناً قاطعاً .

ويحاول الباحث من خلال هذا البحث دراسة موضوع مصادر وموارد ابن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير) .

أهمية البحث:

يأخذ هذا البحث أهميته من الجوانب التالية:

١. تعلق البحث بعلم التفسير وهو من أشرف العلوم الشرعية بل أهمها وأعظمها فضلاً .

٢. تناول البحث لكتاب من أجل كتب التفسير في العصر الحديث [التحرير والتنوير] لما له من مكانة ومنزلة في مكتبة التفسير .

٣. عناية البحث بالمصادر والموارد التي اعتمد عليها ابن عاشور في تأليف تفسيره وهي أصل مادة الكتاب .

مشكلة البحث:

تبدو مشكلة البحث من خلال الإجابة على التساؤل التالي: ما أنواع مصادر وموارد ابن عاشور في كتاب التحرير والتنوير ؟

أهداف البحث:

يرجو الباحث من خلال هذا البحث تحقيق عدة أهداف منها:

١ـ التعريف بابن عاشور ووصف كتاب التحرير والتنوير وبيان قيمته العلمية.

٢ـ الكشف عن أنواع مصادر وموارد ابن عاشور في كتاب التحرير والتنوير.

٣ـ بيان منهج ابن عاشور في استخدام المصادر والمراجع في كتاب التحرير والتنوير .

منهج البحث:

يقوم هذا البحث على المنهج التاريخي الوصفي الذي يستند على الوصف والتحليل .

هيكل البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يقوم هيكله على مقدمة ومبحثين وخاتمة على هذا النحو:

مقدمة:

وتتضمن:

أهمية البحث .

مشكلة البحث .

أهداف البحث .

منهج البحث .

هيكل البحث .

المبحث الأول: **التعريف بابن عاشور وكتابه التحرير والتنوير**، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: **التعريف بابن عاشور**.

المطلب الثاني: **وصف الكتاب وبيان منهج المؤلف فيه**.

المبحث الثاني: **دراسة مصادر وموارد ابن عاشور في كتاب التحرير والتنوير**، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: **مصادر القرآن الكريم وتفسيره والسنة النبوية وعلومها**.

المطلب الثاني: **مصادره في الفقه والأصول العقيدة وعلم الكلام اللغة والنحو**.

خاتمة: النتائج والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول

التعريف بابن عاشور وكتابه (التحرير والتنوير)

المطلب الأول

التعريف بابن عاشور

هو العلامة الإمام الشيخ محمد الطاهر الثاني بن الشيخ محمد بن محمد الطاهر الأول بن محمد الشاذلي بن عبد القادر محمد بن عاشور الشريف الأندلسي ثم التونسي[١].

ولد الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بقصر جده لأمه الوزير الشيخ محمد العزيز بو عتور، بالمرسى ضاحية من ضواحي العاصمة التونسية في جمادى الأولى سنة ١٢٩٦هـ الموافق لشهر سبتمبر ١٨٧٩م[٢].

نشأ الشيخ في بيئة علمية؛ فجده لأبيه عالم وهو قاضي قضاة الحاضرة التونسية، وجده لأمه الشيخ محمد العزيز بو عتور عالم أيضاً، تولى الوزارة، والأسرة من أفضل أسر العاصمة، ومن ذوي اليسار لها مكتبات علمية كالمكتبة العاشورية وغيرها تشتمل على مخطوطات نادرة في الأدب والدين والقانون، في هذا الوسط العلمي والسياسي والإصلاحي شبّ مترجمنا فحفظ القرآن الكريم حفظًا متقنًا منذ صغر سنه، وحفظ المتون العلمية كسائر أبناء عصره من التلاميذ، ثم تعلم ما تيسر له من اللغة الفرنسية[٣].

واشتهر ابن عاشور بالصبر والاعتزاز بالنفس والصمود أمام الكوارث، والترفع عن الدنيا[٤].

---

(١) دائرة المعارف التونسية : إشراف أحمد خالد ومحمد الطالبي وعبد القادر المهيري، تونس: بيت الحكمة، ط ١، ١٩٩٠ م ص ٤٠.

(٢) شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور : بلقاسم الغالي، بيروت : دار ابن حزم، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ ، ص ٣٧.

(٣) قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير : عبير بنت عبد الله النعيم ، دار التدمرية، الرياض– المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م ص ٢٩.

(٤) بيان موقف الإمام ابن عاشور من الشيعة الرافضة : خالد بن أحمد الشامي ، من دون ناشر ، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م ص٥.

وكان الشيخ الطاهر ابن عاشور فقيهاً بارزاً حيث يعد من العلماء المجددين الذين يأنفون التقليد والتعصب لآراء الشيوخ، وكان يرى أن ارتهان المسلمين لهذه النظرة الجامدة المقلدة سيصيبهم بالتكاسل، وسيعطل إعمال العقل لإيجاد الحلول لقضاياهم التي تجدُّ في حياتهم[1].

وتعليقاته وكتاباته في الفقه تشهد بطول باعه وغزارة علمه في هذا الفن، ويظهر هذا في كونه أول من أفرد موضوع المقاصد في كتاب مستقل حيث ألف كتابه (مقاصد الشريعة الإسلامية) ودعا فيه إلى مراعاة مدى تحقيق القول الذي يذهب إليه الفقيه لمقاصد الشريعة[2].

شيوخه وتلاميذه ومؤلفاته:

التحق الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور بجامع الزيتونة في سنة (١٣٠٣هـ١٨٨٦-م) وثابر على تعليمه به حتى أحرز شهادة التطويع سنة (١٣١٧هـ١٨٩٩م) وسمي عدلاً مبرزًا، وابتداءً من سنة (١٩٠٠م) إلى سنة (١٩٣٢م) أقبل على التدريس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية كمدرس من الدرجة الثانية، فمدرسًا من الدرجة الأولى سنة (١٩٠٥م)، ثم عضوًا مؤسسًا للجنة إصلاح التعليم بجامع الزيتونة سنة (١٩١٠م)[3].

والتحق الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور بالقضاء سنة (١٩١١م) فكان عضوًا بالمحكمة العقارية وقاضيًا مالكيًا، ثم مفتيًا مالكيًا سنة (١٩٢٣م) فكبير المفتين سنة (١٩٢٤م) فشيخ الإسلام للمذهب المالكي سنة (١٩٣٢م)، وقد باشر كل هذه المهام بمهارة ودقة علمية نادرة، وبنزاهة وحسن نظر، فكان حجة ومرجعًا فيما يقضي به، سمي شيخ جامع الزيتونة وفروعه لأول مرة في سبتمبر

(١) ابن عاشور ومنهجه في التفسير: عبد الله بن إبراهيم الريس، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رسالة ماجستير، ١٤٠٨ هـ، ١/١٦٤.

(٢) قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير ص ٣٩.

(٣) المرجع السابق ص ٢٩.

عام (١٩٣٢م) بعد أن اشترك في إدارة الكلية الزيتونية[١].

شيوخه:

ومن أشهر شيوخه[٢]:

١. مصطفى رضوان السوسي.
٢. حمد جمال الدين الفقيه .
٣. الشيخ محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد بو عتور .
٤. عمر بن أحمد بن علي بن حسن: المعروف بابن الشيخ .
٥. الشيخ محمد بن عثمان النجار .
٦. صالح بن محمد الشريف الجزائري .
٧. سالم بن عمر بو حاجب البنبلي .
٨. محمد النخلي القيرواني .
٩. إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني .

تلاميذه:

كان الشيخ ابن عاشور من الأعلام البارزين الذين درسوا في جامع الزيتونة، وأقرؤوا كتباً عدة من أمهات الكتب، وتخرج على يديه جماعة من كبار العلماء والمصلحين، فيما يلي أبرزهم[٣]:

١- الشيخ عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس .
٢- محمد الصادق بن محمد الشطي.
٣- زين العابدين بن حسين.
٤- محمد بن خليفة بن حسن بن الحاج المشهور بالمدني .
٥- أبو الحسن بن شعبان الأديب الشاعر .

(١) جامع الزيتونة المعلم ورجاله : محمد العزيز ابن عاشور ، دار سراس للنشر ، تونس ، ١٩٩١ م. ص ١٢٥.
(٢) تراجم المؤلفين التونسيين : محمد محفوظ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م ٢/٣٦٥.
(٣) قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير ص ٣٥.

٦- محمد الفاضل وهو ابن محمد الطاهر بن عاشور .

٧- محمد البشير ابن الشيخ أحمد ابن الشيخ محمد بن أحمد النيفر[١].

مؤلفاته:

ساهم ابن عاشور في إثراء المكتبة الإسلامية بالذخائر والنفائس، حتى وصلت مؤلفاته إلى الأربعين، وهي غاية في الدقة العلمية، وتدل على تبحر الشيخ في شتى العلوم الشرعية والأدبية، ومن أجلّها كتابه في التفسير: التحرير والتنوير

ولا تزال العديد من مؤلفات الشيخ مخطوطة، وفيما يلي أشهرها[٢]:

تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، اختصر هذا الاسم فسمّاه: التحرير والتنوير[٣]، وهو أول تفسير كامل يصنف في تونس على مر التاريخ.

١. تعليقات وتحقيق على حديث أم زرع .
٢. النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح .
٣. كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ .
٤. الأمالي على مختصر الخليل .
٥. الفتاوى .
٦. قضايا وأحكام شرعية.
٧. مقاصد الشريعة الإسلامية .
٨. الوقف وآثاره في الإسلام .
٩. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام .

(١) تراجم المؤلفين التونسيين ٦٧/٥.

(٢) قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير ص: ٤٢.

(٣) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، الدار التونسية للنشر – تونس ، ١٩٨٤ هـ ٦٦/٥.

وفاته:

توفي الشيخ محمد الطاهر بن عاشور عن أربع وتسعين سنة في ضاحية المرسى قرب تونس العاصمة، يوم الأحد (١٣) رجب (١٣٩٤هـ - ١٩٧٣م)، ووري الثرى رحمه الله بمقبرة الزلاج من مدينة تونس[١].

وقد أثنى عليه العلماء ثناءاً عاطراً ومن ذلك ما نعته به صديقه الإمام الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر قوله: "وللأستاذ فصاحة منطق، وبراعة بيان. ويضيف إلى غزارة العلم وقوّة النظر، صفاءَ الذوق، وسعة الاطلاع في آداب اللغة . . . كنت أرى فيه لساناً لهجته الصدق، وسريرة نقيّة من كل خاطر سيِّئ، وهمّة طمّاحة إلى المعالي، وجِداً في العمل لا يَمَسه كلل، ومحافظة على واجبات الدين وآدابه . . . وبالإجمال ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه وسماحة آدابه بأقل من إعجابي بعبقريته في العلم"[٢].

المطلب الثاني

وصف الكتاب وبيان منهج المؤلف فيه

يعد كتاب (التحرير والتنوير) واسمه (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل المجيد من تفسير الكتاب المجيد) من أشهر كتب التفسير في العصر الحديث، يقع في ثلاثين جزءاً طبع في دار الكتب الشرقية، وفي الدار التونسية للنشر، والطبعة التي بين يدي الباحث تقع في خمسة عشر جزءا لدار سحنون للنشر والتوزيع في تونس، وقد أبان ابن عاشور فى تمهيده لهذا التفسير عن الباعث على تأليف الكتاب فقال: "كان أكبر أمنيتي منذ زمن بعيد، تفسير الكتاب المجيد، الجامع لمصالح الدنيا والدين، وموثق شديد العرى من الحق المتين، والحاوى لكليات العلوم ومعاقد استنباطها، والآخذ قوس البلاغة من محل نياطها، طمعاً

(١) قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير ص: ٤٩.

(٢) تونس وجامع الزيتونة : محمد الخضر حسين ، جمعه وحققه علي الرضا التونسي ١٣٩١هـ/ ١٩٧١ م ص ١٢٥.

فى بيان نكت من العلم وكليات من التشريع، وتفاصيل من مكارم الأخلاق، كان يلوح أنموذج من جميعها فى خلال تدبره، أو مطالعة كلام مفسره"[1].

خصائص ومميزات الكتاب:

اشتمل تفسير ابن عاشور "التحرير والتنوير" على خلاصة آرائه الاجتهادية والتجديدية؛ إذ استمر في هذا التفسير ما يقرب من (٤٠) عاما، وأشار في بدايته إلى أن منهجه هو أن يقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين، تارة لها وأخرى عليها؛ حيث بيّن أن الاقتصار على الحديث المعاد في التفسير هو تعطيل لفيض القرآن الكريم الذي ما له من نفاد، ووصف تفسيره بأنه احتوى أحسن ما في التفاسير، وأن فيه أحسن مما في التفسير[2].

وصدّرّ ابن عاشور تفسيره بمقدمات في علوم القرآن، اشتملت هذه المقدمات على كل ما يحتاج إليه المفسر، حتى لا يضل ولا يزل عن المنهج السليم عند تفسيره لكتاب الله العظيم، وجعل المقدمات قسما من الجزء الأول من التحرير، تناول فيه عدداً من القضايا المهمة، وهي[3]:

الأولى: في التفسير والتأويل، ومعنى كل منهما.

الثانية: في استمداد علم التفسير، ويريد به العلوم التي يستمد منها علم التفسير.

الثالثة: في بيان موقفه من التفسير بالرأي، وعدم الاقتصار على التفسير بالمأثور.

الرابعة: في بيان مقاصد القرآن التي يجب على المفسر أن يبرزها في تفسيره.

الخامسة: في أسباب النزول وبيان أهميتها في التفسير.

السادسة: القراءات وبيان علاقتها بالتفسير.

السابعة: قصص القرآن وبيان فوائدها، وفوائد تكرارها.

الثامنة: في بيان اسم القرآن وآياته وسوره وترتيبها وأسمائها، وعدد الآي

(١) التحرير والتنوير ١/٥.

(٢) قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير ص ٥٤.

(٣) التحرير والتنوير ١/٧.

ووقوف القرآن.

التاسعة: في أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن تعتبر مرادة بها، وإن كثرت.

العاشرة: في إعجاز القرآن ووجوه الإعجاز، وأقوال العلماء فيه، ومبتكرات القرآن، وعاداته .

منهج المؤلف في الكتاب:

يلاحظ الباحث في الكتاب أن مؤلفه كان ينتهج فيه المنهج التالي:

١. يذكر أولاً اسم السورة معتمداً في ذلك على ما ورد في السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو عن الصحابة رضي الله عنهم، وما هو مكتوب في المصاحف القديمة، أو بطريق الاستنباط[١].

٢. بعد أن يعرض لتسمية السورة، ينتقل إلى الحديث عن مكية السورة أومدنيتها، ذاكراً الخلاف ومرجحاً ما يختاره، مبينا تاريخ النزول وعدادها بين سور القرآن الكريم المكية والمدنية[٢].

٣. ثم يعرض المعلومات التفصيلية للآيات، وهو حين يفسرها يحرص على تفسير كل مجموعة آيات ذات موضوع واحد تحت مقطع واحد[٣].

٤. حرص على توضيح المشكل والغريب في المتن[٤].

٥. كما تعرض لتخريج الأحاديث والآثار[٥].

٦. اعتنى بترجمة الأعلام وضبطها يذكر ذلك في الحاشية[٦].

٧. وقد حرص كذلك على التعريف بالأماكن والقبائل، أحياناً في المتن، وأحياناً في الحاشية "[٧].

(١) التحرير والتنوير ٥/٧.
(٢) المرجع السابق ٦١١/١٥.
(٣) قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير ص ٥٧.
(٤) التحرير والتنوير ٣٢٦/١٢.
(٥) المرجع السابق ٢٢٦/٧.
(٦) المرجع السابق ١٣٤/١.
(٧) المرجع السابق ٦٧٥/١.

المبحث الثاني

دراسة مصادر وموارد ابن عاشور في كتاب التحرير والتنوير

المطلب الأول

مصادر القرآن الكريم وتفسيره والسنة النبوية وعلومها

لا شك أن المصادر تعتبر النواة الأولى للمفسر سواء كانت هذه المصادر تلقِّيا عن الشيوخ أو متمثلة في الكتب التي استفاد منها في كتابة التفسير، ومن خلال قراءتي لهذا التفسير وتتبع محتواه العلمي وجدت أن ابن عاشور نهج في الإشارة إلى مصادره ومراجعه التي استقى منها معلوماته الطرق التالية[1]:

- إنه أحياناً يصرح بذكر اسم الكتاب ولا يشير إلى اسم المؤلف.
- وأحياناً يصرح باسم المؤلف ولا يصرح باسم المصدر.
- وأحياناً أخرى يصرح باسم المصدر والمؤلف جميعاً.

وقد أشار الشيخ في مقدمته إلى أهم كتب التفسير التي رجع إليها واستعان بها، وهو يرى أنها أهم كتب التفسير المعول عليها من وجهة نظره حيث يقول: "والتفاسير - وإن كانت كثيرة - فإنك لا تجد الكثير منها إلا عالة على كلام سابق بحيث لاحظَّ لمؤلفه إلا الجمع على تفاوت بين اختصار وتطويل، وإن أهم التفاسير: تفسير الكشاف والمحرر الوجيز لابن عطية ومفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، وتفسير البيضاوي الملخص من الكشاف ومن مفاتيح الغيب بتحقيق بديع، وتفسير الشهاب الآلوسي، وما كتبه الطيبي، والقزويني، والتفتزاني على الكشاف، وما كتبه الخفاجي على تفسير البيضاوي، وتفسير أبي السعود، وتفسير القرطبي والموجود من تفسير الشيخ محمد بن عرفة التونسي من تقييد تلميذه الأبي وهو بكونه تعليقاً على تفسير ابن عطية أشبه منه بالتفسير لذلك لا يأتي على جميع آي القرآن وتفاسير الأحكام، وتفسير

(١) قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير ص ٩٨.

الإمام محمد ابن جرير الطبري، وكتاب " درة التنزيل " المنسوب لفخر الدين الرازي، وربما ينسب للراغب الأصفهاني ولقصد الاختصار أعرض عن العزو إليها وقد ميزت ما يفتح الله لي من فهم في معاني كتابه وما أجلبه من المسائل العلمية، مما لا يذكره المفسرون"[1].

١. **مصادره في التفسير وعلوم القرآن:**

التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ[2].

ويعرَّف القرآن الكريم بأنه هو كلام الله المنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم عن طريق الوحي[3]، وهذا القرآن، عني " بالنبوة والرسالات والرسل، والذين يقرؤونه قراءة فهم وتدبر، وبحث متعمق في معانيه، وحقائقه الكونية، وعقائده، وتشريعاته، ونظمه الاجتماعية، وأخلاقياته. . . فلا تكتمل حقيقة إيمان مؤمن، إلا بمعرفة النبوة والإيمان بها، وتقديرها حق قدرها"[4].

ولابد لأي باحث يريد أن يصنف في أي علم من العلوم أن يجعل من القرآن الكريم مصدراً أساسياً له، فقد وفر القرآن الكريم قدراً عظيماً من الأخبار الصحيحة الكثير من الموضوعات وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ولا ريب في ذلك فالقرآن الكريم هو كلام الله تعالى

(١) التحرير والتنوير ١/٧.

(٢) البرهان في علوم القرآن : محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله ، دار المعرفة – بيروت ، ١٣٩١هـ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ١/١٣.

(٣) مباحث في علوم القرآن : الشيخ مناع خليل القطان، مكتبة وهبة ، القاهرة ص١٦.

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن : محمد عبد العظيم الزرقاني ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م ١/١٢.

المنزل على نبيه لفظاً بطريقة الوحي ولا يأتيه الباطل، وقد وعد الله تعالى بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، واعتمد ابن عاشور على شروح الكشاف لكل مِن الجرجاني[١] والتفتازاني[٢]، كما رجع أيضاً لابن كثير في تفسيره[٣]، وكذلك البغوي في تفسيره[٤].

واعتمد ابن عاشور أيضاً على كتب الأحكام في تفسير القرآن لكل من ابن العربي[٥]، والجصاص[٦].

كما اعتمد في مجال علوم القرآن اعتماداً كبيراً على السيوطي في "الإتقان"[٧]، والواحدي في "أسباب النزول"[٨].

٢. مصادره في القراءات:

القراءات جمع وهي مصدر قرأ، وهي الجمع والضم، وسمّي القرآن لأنه يجمع السور فيضمها"[٩].

وذكر الزركشي أن القراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما"[١٠].

وتم تعريف علم القراءات بأنه "علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في اللغة والإعراب، والحذف والإثبات والتحريك والإسكان والفصل والاتصال وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع"[١١].

(١) التحرير والتنوير ١/١٣٥.
(٢) المرجع السابق ١/٢٥١.
(٣) المرجع السابق ٢/٣٤٠.
(٤) المرجع السابق ١/٥٢.
(٥) التحرير والتنوير ١/٢٥٣.
(٦) المرجع السابق ٤/١٤٩.
(٧) المرجع السابق ٧/٣١٦.
(٨) المرجع السابق ٢/١٩٧.
(٩) الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) : إسماعيل بن حماد الجوهري ، دار العلم للملايين ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الثالثة ١٩٨٤م ١/٦٤.
(١٠) البرهان في علوم القرآن ٢/١٣٨.
(١١) لطائف الإشارات لفنون القراءات : شهاب الدين القسطلاني ، تحقيق عامر السيد غثمان وزميله ، مصر، القاهرة، لجنة إحياء

ولعلم القراءات ثمرة وفائدة كبيرة تتمثل في العصمة من الخطأ في النطق بالكلمات القرآنية وصيانتها من التحريف والتّغيير، والعلم بما يقرأ به كلّ إمام من أئمة القراءة، والتمييز بين ما يقرأ به ومالا يقرأ به[١].

واعتمد ابن عاشور في ذكر بعض القراءات على كتب السنة المشهورة كصحيح البخاري[٢] وسنن الترمذي[٣]، كما رجع إلى كتاب "السبعة "لابن مجاهد وقد نصّ عليه في تفسيره[٤]، و"حرز الأماني ووجه التهاني "للشاطبي[٥]، وكذلك "الدرر المضيئة في القراءات الثلاث" المتممة للعشر لابن الجزري[٦]، و"غيث النفع في القراءات السبع " للشيخ علي النوري الصفاقسي[٧]، كما أخذ القراءات من كتب التفسير ومن ذلك: كتاب "الكشاف" للزمخشري[٨]، و" المحرر الوجيز "لابن عطية[٩].

٣. مصادره في الحديث النبوي:

نعلم أن السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع، وهي التي جمعت أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، وأفعاله، وتقريراته، وصفاته الخلقية والخلقية[١٠]، وتأتي أهمية كتب السنة النبوية المطهرة في أنها توضح العقائد، والآداب الإسلامية، وكثيراً من الأحكام التعبدية، والتشريعية، والأخلاقية، وأكثر المصادر التي اعتمد عليها في الحديث: صحيح البخاري[١١]

التراث الإسلامي، ١٣٩٢هـ، ١/١٧٠.

(١) المهذب في القراءات العشر وتوجيهها : محمد سالم محيسن ، من طريق طيبة للنشر ، دار الأنوار، ط١٣٨٩، ٢هـ، ١٩٧٨، ص: ١٠.

(٢) التحرير والتنوير ١/١٤٣.

(٣) المرجع السابق ١/١٧٥.

(٤) المرجع السابق ٦/١٦.

(٥) المرجع السابق ٣٠/٥٧٩.

(٦) المرجع السابق ٢٣/٣٥٢.

(٧) المرجع السابق ٢٩/٣٣٨.

(٨) المرجع السابق ٢/٤٣٤.

(٩) المرجع السابق ٣٠/٦٣١.

(١٠) الوسيط في علوم ومصطلح الحديث : محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ص ١٥.

(١١) التحرير والتنوير ١/٩٠.

وصحيح مسلم[١]، والنسائي[٢]، والترمذي[٣]، وأبو داود[٤]، وموطأ مالك[٥]، ومسند أحمد بن حنبل[٦] ومعجم الطبراني[٧] ومسند البزار[٨] وسنن البيهقي[٩] والدارقطني[١٠]، ومن أكثر هذه المصادر التي اعتمد عليها الشيخ كثيراً في تفسيره: البخاري ومسلم وموطأ مالك.

المطلب الثاني

مصادره في الفقه والأصول العقيدة وعلم الكلام اللغة والنحو

١. مصادره في الفقه والأصول:

الفقه هو في اللغة عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه وفي الاصطلاح هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية وقيل هو الإصابة والوقوف على المعنى الخفي الذي يتعلق به الحكم وهو علم مستنبط بالرأي والاجتهاد ويحتاج فيه إلى النظر والتأمل ولهذا لا يجوز أن يسمى الله تعالى فقيها لأنه لا يخفى عليه شيء[١١].

وأصول الفقه باعتباره عَلَمًا ولقبًا على الفن المعروف يمكن تعريفه بأنه: "أدلة الفقه الإجمالية، وكيفية الاستفادة منها، وحال المستفيد"[١٢].

أكثر ابن عاشور من النقل كثيراً عن الإمام مالك[١٣]، كما اعتمد في

(١) المرجع السابق ٦/١١٥.
(٢) المرجع السابق ١/٦٣٤.
(٣) المرجع السابق ١/٨٨.
(٤) المرجع السابق ٥/٣٤.
(٥) المرجع السابق ٥/١٨٣.
(٦) المرجع السابق ١/١٤٢.
(٧) المرجع السابق ١/٦٦٢.
(٨) المرجع السابق ٩/٢٥.
(٩) المرجع السابق ٧/٢٤٦.
(١٠) المرجع السابق ٢/٤١٢.
(١١) التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ تحقيق: إبراهيم الأبياري ص ٢١٦.
(١٢) شرح الكوكب المنير: تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار، تحقيق: محمد الزحيلي و نزيه حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ – ١٩٩٧ م ١/٤٤.
(١٣) التحرير والتنوير ٥/١٨٣.

استشهاداته الفقهية وتأييده على كل من ابن رشد في "بداية المجتهد"[١]، و"الهداية" في الفقه[٢]، وأبو بكر بن العربي في "أحكام القرآن"[٣]، كما اعتمد أيضاً على ابن حزم في "المحلى "[٤]، والجصاص في تفسير "آيات الأحكام"[٥]، والإمام الشافعي[٦]، والقرافي في "أنوار الفروق "[٧] والشاطبي في "الموافقات "[٨].

٢. مصادره في العقيدة وعلم الكلام:

العقيدة هي العلم بالأحكام الشرعية المكتسب من الأدلة اليقينية ورد الشبهات وقوادح الأدلة الخلافية[٩].

وأطلق كثير من السلف على العقيدة الصحيحة اسم "السنة"، وذلك لتمييزها عن عقائد ومقولات الفرق الضالة، لأن العقيدة الصحيحة وهي عقيدة أهل السنة والجماعة مستمدة من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، التي هي مبينة للقرآن الكريم، وفي العقيدة وعلم الكلام اعتمد ابن عاشور على كتاب "الإحياء " للغزالي[١٠] وكذلك " المنقذ من الضلال"[١١].

وهناك أسماء كثيرة نهل الشيخ منها على سبيل المثال لا الحصر الجلال الدواني في شرح " ديباجة هياكل النور "[١٢]، والسهروردي في " هياكل النور

(١) المرجع السابق ١/١٤٠.
(٢) المرجع السابق ١/٩٩.
(٣) المرجع السابق ٢/٩.
(٤) المرجع السابق ٢/٢٣٤.
(٥) المرجع السابق ١/٥٣٧.
(٦) المرجع السابق ٢/١٤.
(٧) المرجع السابق ٢/١٦٢.
(٨) المرجع السابق ٣/١٥٦.
(٩) الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة : حياة بن محمد بن جبريل ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ١/٤٥.
(١٠) التحرير والتنوير ٤/٩٤.
(١١) المرجع السابق ٣٠/٤٧٦.
(١٢) المرجع السابق ٣/٢١٤.

وحكمة الإشراق "[1] و" حل الرموز ومفاتيح الكنوز " للعز بن عبد السلام[2]، و" شرح المقاصد " لسعد الدين التفتازاني[3]، و"العواصم من القواصم" لابن العربي[4].

٣. مصادره في اللغة والنحو:

كان البحث اللغوي عند العرب أداة لفهم الدين، وقد ارتبط منذ نشأته بالبحث في لغة القرآن الكريم، وظل هذا الارتباط قائمًا في الدوائر العلمية على مدى القرون. وظهر هذا بصفة خاصة عند المؤلفين المسلمين من غير العرب، مثل الثعالبي وأبي حاتم الرازي والخوارزمي والتهانوي. فالثعالبي يرى العربية خير اللغات والألسنة والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين[5]، ومصادر ابن عاشور في اللغة والنحو كثيرة ومتنوعة من أبرزها: " دلائل الإعجاز"[6]، و "أسرار البلاغة" للجرجاني[7] و"الكتاب" لسيبويه[8]، و"مفتاح العلوم" للسكاكي[9]، و"شرح المفصل " لابن الحاجب[10] و"الأشباه والنظائر" للسيوطي[11].

ومما سبق يتضح للباحث كثرة وتنوع المصادر التي اعتمد عليها ابن عاشور في تأليف تفسيره، وهذه الكثرة من المصادر وتنوعها أتاحت لابن عاشور أن يعرض المسائل والقضايا على أكثر من وجه، ويحدد مواطن الاختلاف، أو

(١) المرجع السابق ١٥٩/٢.
(٢) المرجع السابق ١٣٤/١.
(٣) المرجع السابق ٢٦٩/١.
(٤) المرجع السابق ٢٩/١.
(٥) فقه اللغة وسر العربية : عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م ص ١٥.
(٦) التحرير والتنوير ٢٤٤/١.
(٧) المرجع السابق ١٠٦/١.
(٨) التحرير والتنوير ٢١١/١.
(٩) المرجع السابق ١٤٥/٢.
(١٠) المرجع السابق ٣٥٣/١.
(١١) المرجع السابق ٧٠/٢٢.

الاتفاق معها، مما جعله ينفذ من خلالها ليصل إلى ما يرتضيه ويطمئن إليه، وهو لا يفعل ذلك إلا بعد تحليل ورد الشيء إلى أصله، وليس رائده فى ذلك جمع الآثار والأقوال وحشو كتابه بالغث والثمين، ولكنه يقوم من خلال ما استعان به من وسائل التفسير سواء التفسير بالرواية أم الدراية بالتتبع والاستقصاء واستقراء كل ما قيل حول الآية تقريباً، ولا ينتقل إلى تفسير الآية التالية إلا بعد أن تكون الآية السابقة قد أوضح معناها وحدد مبناها، وكشف كثيراً من عجائبها وأسرارها.

خاتمـــــة

نتائج البحث:

١. برع ابن عاشور في التأليف وترك لنا مؤلفات غاية في الدقة العلمية، وتدل على تبحر الشيخ في شتى العلوم الشرعية والأدبية، ومن أجلّها كتابه في التفسير التحرير والتنوير .

٢. اعتمد ابن عاشور في تأليف تفسيره التحرير والتنوير على الكثير من المصادر والموارد وقد تنوعت وشملت كافة ضروب العلم والمعرفة كالتفسير وعلوم القرآن والحديث النبوي الشريف والفقه والأصول واللغة العربية بشتى ضروبها .

٣. كان تعدد المصادر وتنوعها وقبول ما جاء فيها أو رفضه بعيدا عن روح التقليد الركيزة الأولى التى اعتمد عليها منهج ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير .

٤. كان من منهج ابن عاشور في الغالب التصريح باسم المصدر أو المورد الذي استقى منه المعلومة مع اسم المؤلف خاصة عند اعتماده على كتبه المؤلفة .

٥. كان من منهج ابن عاشور أيضاً التصريح باسم المصدر أو المورد الذي استقى منه المعلومة دون ذكر اسم مؤلفه .

٦. ومن منهج ابن عاشور أيضاً التصريح باسم المؤلف دون ذكر اسم الكتاب .

٧. ومن منهج ابن عاشور في تفسيره أيضاً عدم التصريح باسم المؤلف أو اسم الكتاب .

أهم التوصيات:

في الختام يرى الباحث ضرورة العناية بالآتي:

أولاً: أن تتم دراسة جهود ابن عاشور في إبراز علوم القرآن من خلال تفسيره التحرير والتنوير .

ثانياً: إخراج كتب ابن عاشور المخطوطة وتحقيقها، ثم طباعتها ليستفيد منها طلبة العلم.

ثالثاً: أن يقوم أحد الباحثين بدراسة مقارنة بين مصادر وموارد ابن عاشور في تفسير وبين مصادر وموارد أحد المفسرين الآخرين، والله الموفق .

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. ابن عاشور ومنهجه في التفسير: عبد الله بن إبراهيم الريس، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، رسالة ماجستير، ١٤٠٨هـ .

٣. الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة: حياة بن محمد بن جبريل، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م .

٤. البرهان في علوم القرآن: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، دار المعرفة - بيروت، ١٣٩١هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم .

٥. بيان موقف الإمام ابن عاشور من الشيعة الرافضة: خالد بن أحمد الشامي، من دون ناشر، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م .

٦. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ .

٧. التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ تحقيق: إبراهيم الأبياري .

٨. تونس وجامع الزيتونة: محمد الخضر حسين، جمعه وحققه علي الرضا التونسي ١٣٩١هـ / ١٩٧١ م .

٩. جامع الزيتونة المعلم ورجاله: محمد العزيز ابن عاشور، دار سراس للنشر، تونس، ١٩٩١ م.

١٠. تراجم المؤلفين التونسيين: محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤م .

١١. دائرة المعارف التونسية: إشراف أحمد خالد ومحمد الطالبي وعبد القادر المهيري، تونس: بيت الحكمة، ط ١، ١٩٩٠م .

١٢. شرح الكوكب المنير: تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار، تحقيق: محمد الزحيلي و نزيه حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م .
١٣. شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور: بلقاسم الغالي، بيروت: دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ .
١٤. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثالثة ١٩٨٤م.
١٥. فقه اللغة وسر العربية: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
١٦. واعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير: عبير بنت عبد الله النعيم، دار التدمرية، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م .
١٧. لطائف الإشارات لفنون القراءات: شهاب الدين القسطلاني، تحقيق عامر السيد غثمان وزميله، مصر، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٩٢هـ.
١٨. مباحث في علوم القرآن: الشيخ مناع خليل القطان، مكتبة وهبة، القاهرة.
١٩/ مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م .
٢٠. المهذب في القراءات العشر وتوجيهها: محمد سالم محيسن، من طريق طيبة للنشر، دار الأنوار، ط١٣٨٩،٢هـ، ١٩٧٨م .
٢١. الوسيط في علوم ومصطلح الحديث: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، دار الفكر العربي، القاهرة.